" لقد عثرت على مادّة تمنع نمو باشلس السل في انبوبة الكشف وفي جسم الحيوان ايضًا. والبحث في السل يقتضي زمانًا طويلاً ولذلك لم يكمل بحثي حتّى الآن مع انني قضيت فيهِ نحو سنة وكل ما يمكنني ان اقولهُ الآن هو ان الحيوان المعروف بخنزير الهند وهو كثير التعرض لداء السل لا يعود جسمهُ يقبل هذا المرض اذا عولج بهذا العلاج واذا كان المرض قد ابتلى جسمهُ قبل ذلك وتمكّن منهُ فالعلاج يوقف المرض بدون ان يضرّ بالجسم ولذلك اكتفي الآن بان اقول ان هذا العلاج يمكنهُ ان يجعل باشلس السل خاليًا من الضرر من غير ان يلحق بالجسم ضررًا واذا صحّ ذلك في السل ونجحنا في التغلّب على باشلسهِ امكننا ايضًا ان نجري هذا المجرى في غير السل من الامراض"

هذا هو الاكتشاف الاهم الذي يحقّ ان يسطّر على صفحات الدهور تخليدًا لذكر هذا الشهير وانهاضًا لهمم غيرهِ من الباحثين . اما ماهيّة العلاج فلم نقف عليها حتّى الآن . واذا وقفنا عليها قبل تمة طبع هذا الجزء نشرناها في باب الاخبار والاكتشافات

دار الثواب

اطلنا الكلام في الجزء الماضي على دار العقاب وما يظنهُ اكثر الشعوب من امرها ووعدنا ان نبسط الكلام في هذا الجزء على دار الثواب وانجازًا لذلك نقول مبتدئين بالمصريين القدماء لانهم اقدم الشعوب حضارة : كان عند قدماء المصريين كتاب يسمى كتاب الاموات وصلت الينا منهُ نسخ كثيرة موجودة الآن في دور التحف باوربا وفيها ادلّة قاطعة على انهُ قديم جدًّا حتّى لقد خفيت معاني بعض فصولهِ على الناس في ايام الدولة الحادية عشرة من الدول المصريّة . ويظهر من هذا الكتاب ان الانقياء يحيون حياةً ابديّة فيمضون اولاً الى دار الاموات ثم يتقمصون في صور شتى واخيرًا يحلون في الاله اوسيريس نفسهِ . فقد قيل في الفصل الاول من هذا الكتاب ان يو يخرج الميت ويدخل كما يشاء ولا يردّ ويطعم اللحم من عن مذبح الشمس وحينما يمرّ في حقول الفردوس يعطى منها قمحًا وشعيرًا . ويعترضهُ ما لا يحصى من الاباليسة الذين يترصدونهُ ليخطفوا نفسهُ ويهلكوها ولكنهُ يتغلّب عليهم بكلمات يتعلمها وينطق بها . وتتوالى هجمات الاباليسة على كل عضوٍ من اعضائهِ ولا سيّما على قلبهِ ولكنّ في هذا الكتاب ايات كثيرة يدفعهم بها عنهُ . وفي الآخر يأتي الى المحاكمة امام الاله اوسيريس والقضاة الاثنين والاربعين

في دار العدلين وهناك يعترف الاعتراف المشهور المنطبق في كثير من مواديه على الوصايا العشر فيقول مخاطبًا الآلهة المحنانة الهًا الهًا انني لم اتوانَ ولم اكمن في الطريق ولم افتخر ولم اسرق ولم اشِ باحد ولم اخنك امتعة الآلهة ولم اكذب ولم آكل القلوب ولم اقتل حيوانًا محرمًا ولم ازنِ ولم اجدِّف ولم اثر ولم ادنس النهر ولم اضر الالهة ولم اشِ بعبد الى سيده. ثم يقول على ما في الفصل الخامس والعشرين من كتاب الاموات "السلام لكم ايها الالهة الذين في دار الحق وليس فيكم غش . . . نجوني من الاله الذي يغتذي بالاحشاء في يوم الدينونة العظيم . ليذهب اوسيريس انتم تعلمون ان لاعيبَ فيه ولا شرّ ولا اثم ولا ذنب فلا تعذبوهُ ولا تقاوموهُ . وهو عائش في الحق ويسر بان يفعل ما يقوله الناس وترضاهُ الآلهة . وقد اطعم الجياع وسقى العطاش وكسا العراة وصنع لي قاربًا لأعبر به وصنع الطعام المقدّس للآلهة والولائم للارواح فلا تشكوهُ الى رب المحنطين لانهُ فمهُ طاهر ويديهِ نقيتان"

فاذا جاز الميت من الدينونة سالمًا صار مثل الاله اوسيريس واقام في ربوع النعيم وعُومل معاملة الاله وذُبح اعداؤهُ كلهم ودُقت اعناقهم وكُسرت سوقهم واستتصلوا الى الابد واصبح بأمن من كل شرٍّ حتّى اذا اجتمعت جنود الليل والظلمة وحاولت ان تلحق بهِ شرًا حبطت كل مساعيها لانهُ يكون قد صار الهًا . فالسعادة الابديّة عند المصريين القدماء تقوم برجوع النفس الى الله الذي صدرت منهُ

وكان اليونان والرومان يقولون ان نفوس الابرار تُنقل الى الاليزيوم وهو فردوس النعيم عندهم وقد ذُكر هذا الفردوس في اشعار هوميرس مرةً واحدة اذ قيل ان الآلهة عازمة على ان تنقل بروتيوس الى الاليزيوم في اقصى الارض حيث يتمتّع بالسعادة الابديّة وهناك لا ثلج ولا شآبيب ولا عواصف بل نسام لطاف تهب من البحر المحيط فتبرّد الهواء وتطهرهُ وتنعش الارض . وقد افاض الشاعر فرجيل الروماني في وصف دار النعيم وامجادها واثبت لها كل ما يسرُّ النفس ويلذُّ الحواس ويشتهيهِ الانسان ولو كان من اشدّ الناس شبقًا . وامجادها وافراحها كلها مما يلتذُّ بهِ الناس في هذه الحياة الدنيا فالرجال الّذين قُتلوا في الدفاع عن وطنهم يُعطَون هناك خيلاً واسلحة ومركبات والجميع يتمتعون بالغناء والرقص والسكر والولائم

وقد اختلف اليونان والرومان في موقع دار الثواب هذه فقال بعضهم انها في البحر المحيط بقرب شاطئ افريقية بين الجزائر الخالدات وقال غيرهم انها في جزيرة ليوس في البحر الاسود عند مصب الدنيوب . وقال فرجيل انها في ايطاليا نفسها وقال لوسيان الشاعر انها

بقرب القمر وقال فلوطرخس انها في قلب الارض . واتفقوا كلهم على انها دار نعيم وحبور مملوءة بالرياض والغياض ماؤها نمير وهواؤها عليل وطيورها مغرِّدة وسماؤها بالشموس مرصعة

وذهب فرجيل في وصفهِ مذهب فيثاغورس وافلاطون معًا فقال ان نفوس الناس تكون هناك مجرَّدة من الاجساد الترابيَّة ولكنها لا تكون مجردة من الاميال والعواطف الارضيَّة فتعقل وتنفعل بالملذات كما كانت وهي على الارض . وتقيم في ديار النعيم الف سنة فقط ثم تشرب من نهر لثي احد انهار دار العقاب وتعود الى الارض وتتقمَّص فيها على صور شتَّى . ولكنَّ اكثر الكتَّاب خالفوهُ في ذلك وقالوا ان امجاد دار الثواب ابديَّة لا انقضاء لها

وكان اهالي المكسيك القدماء يعتقدون ان نفوس الابرار تذهب بعد الموت الى تسعة اماكن مختلفة بحسب مراتبهم ونفوس الاشرار تذهب الى مغابر عميقة في جوف الارض لتعذَّب فيها . واهالي غرينلندا قالوا ان دار الثواب في قلب البحر المحيط ولا يبلغ اليها الاَّ مهرة الصيادين . وكل سكان اميركا الاصليين يعتقدون بخلود النفس في دار الثواب وهي عندهم مثل دار الثواب عند اليونان والرومان مفعمة بالملاهي والملاذ حيث الربيع دائم والغياض مملوءة بالطرائد والانهار بالاسماك والخيرات كثيرة والناس لا يعرفون الجوع ولا التعب . وخصوا المكان الاعلى في فردوسهم بابطالهم المحنكين الَّذين قهروا الاعداء واسروهم واكلوا لحومهم وبصَّاديهم الماهرين الَّذين اشبعوهم من صيدهم ولذلك كانوا يدفنون مع الميت قوسهُ وسهامهُ وبقيَّة اسلحتهِ الَّتي يستعملها في الحرب والصيد لكي يستعملها في دار النعيم ويدفنون معهُ ايضًا جلودًا وذرةً ومواعين مختلفة . وكانوا احيانًا يدفنون مع رئيسهم بعضًا من نسائهِ وعبيدهِ واماثهِ لكي يقوموا بخدمتهِ في دار النعيم كما كانوا في هذه الدار . وكان هذا الاعتقاد راسخًا في نفوسهم حتَّى ان هؤلاء كانوا يتقدمون للموت من تلقاء انفسهم لكي يُدفنوا مع سيدهم ويرافقوهُ الى الدار الاخرى . اما دار العقاب فاعتقادهم فيها ضعيف جدًّا وذكرهم لها قليل

وهنود الهند نعيبهم الرجوع الى الهم برهما والامتزاج بهِ . واهالي سكندينافيا كانوا يعتقدون بوجود دارين للثواب الاولى للذين يموتون قتلاً والثانية للابرار وهي مستوفة بالذهب فيقيمون فيها الى الابد متمتعين بالفرح الدائم والابطال منهم يتسلحون كل يوم ويصطفون كانهم في ميدان القتال ويهجم بعضهم على بعضهم ويتضاربون بالسيوف ويتطاعنون بالرماح الى ان يتمزقوا اربًا اربًا وحينما تحين ساعة الانفصال تتصل اعضاؤهم ويعودون

الى ظهور خيولهم سالمين ويمضون جميعًا الى قصر الاله اودن يأكلون ويشربون وطعامهم من لحم خنزير مسمن واللحم لاينفد وشرابهم من لبن عنزة واللبن لايفرغ وتطوف عليهم العذارى بكؤوس الشراب يملأنها لهم كلما فرغت

وقال علماء اليهود ان للثواب دارين دارًا سفلى ودارًا عليا وبينهما عمود قائم يسمى قوّة صهيون وفي كل سبت يصعد الابرار على هذا العمود من الدار السفلى الى الدار العليا يأكلون فيها ويتمتعون برؤية الحق سبحانه . وفي كلٍّ من الدارين سبعة منازل لسبع طوائف من الناس المنزل الاول في الدار العليا للذين قُتلوا من اجل الله ومجده والثاني للذين ماتوا غرقًا في البحار والثالث للمعلم يوكنان بن زاخي وتلامذته والرابع للذين نزلت عليهم سحابة وظلّلتهم والخامس للذين تابوا عن خطاياهم والسادس للذين لم يتزوجوا ولم يرتكبوا ذنبًا في حياتهم والسابع للمساكين الّذين تمرنوا في التوراة والمثنا وعملوا في صناعة شريفة

وعندهم ان نفوس الابرار لاتصعد الى الدار العليا حال مفارقتها للجسد بل تستعد لذلك في دار الثواب السفلى وبعد ان تبلغ الدار العليا تعود الى جسدها احيانًا وتزور هذا العالم ومنازل غيرها من الابرار الّذين دونها ولكنها لا تستطيع ان ترتفع الى منازل الّذين فوقها واذا حاولت ذلك اكلتها النار المحيطة بتلك المنازل . وبين الابرار اقوام قرّبوا من الحق سبحانه فجاز لهم ان يجولوا في كل المنازل العليا والسفلى بل في منازل الملائكة ايضًا ليظهروا لغيرهم من الابرار مقدار الحكمة التي منّعهم الله بها . وقال احد علمائهم انه طاف الفردوس كلهُ فوجد فيهِ سبعة منازل فقط وكل منزل منها مئة وعشرون الف ميل طولاً في مثلها عرضًا

وقد بحث كثيرون عن عقائد الناس في هذه الايام ولاسيما الامم الّذين لا كتاب لهم فوجدوهم من حيث الاعتقاد بدار الثواب على مذاهب شتّى لا تحصى لكثرتها وتباينها فاهالي جزائر تنغا يعتقدون ان رؤساءهم خالدون وسوقتهم فانون واعيانهم الآراء مختلفة فيهم فبعضهم يقول انهم خالدون وبعضهم يقول انهم فانون . وحاول احد الاوربيين ان يقنع رجلاً من اهالي استراليا الاصليين بانهُ يمكن ان يوجد بدون جسد فضحك الرجل منهُ وقال انهُ يستحيل ان يوجد ولا فم لهُ ليأكل ولا رجل ليمشي . واهالي جزائر فيجي يقولون ان النفوس الّتي تبلغ دار الآخرة قليل عددها لكثرة ما يهلك منها في اثناء الطريق . وغيرهم يعتقد انهُ لا يصل الى دار الخلود الاّ الّذين وشموا ابدانهم واما غيرهم فتعترضهم جبّارة عظيمة في طريقهم وتلتهمهم . وبعض زنوج غينيا يعتقد ان النفوس تحاسَب بعد الموت فالتي توجد ملومةً يطرحها الهم في النهر ويغنيها . وبعض الهنود يعتقد ان مقرّ الفردوس في الجبال

الّتي شمالي بلاد الهند . واهالي تنغا يعتقدون ان النفوس تذهب بعد الموت الى جزيرة كبيرة الاشجار والازهار والاثمار كلما قطفوا منها ثمرة ظهر غيرها اثمار ولبعد هذه الجزيرة عن بلادهم لم يصل اليها احد من الاحياء الاّ ان قومًا منهم وصلوها مرةً وصعدوا اليها وحاولوا القطف من اثمارها فاستحالت امامهم الى اخيلة فاضطرهم الجوع الى الرجوع عنها . ويقال ان اعتقاد اليابانيين بالخلود راسخ فيهم حتّى انهم قد يستدينون مالاً ويعدون بافائهِ في الحياة الأُخرى وذلك كان شأن اهالي بريطانيا ايضًا في سالف عهدهم

واهالي جزائر فيجي يعتقدون ان حالة الانسان في الحياة الاخرى تتوقف على حالتهِ حين موتهِ وبما ان الطريق الى فردوسهم طويلة شاقّة كثيرة الخاطر فيفضلون الموت في سن الكهولة على الموت في سن الشيخوخة . فاذا اكتهل احدهم وقارب سن الشيخوخة دعا اولادهُ واقاربهُ وطلب اليهم ان يقتلوهُ لكي يمضي الى دار الاموات وهو في قوتهِ فيجتمعون ويتشاورون ويعرضون عليهِ الخنق او الوأد (الدفن حيًّا) . قال احد المرسلين دعاني احد الشبّان مرّة لاشاهد دفن امهِ فلبيتُ دعوتهُ وذهبتُ مع مَن ذهب وسرنا نحو المدفن وسألتهُ عن امهِ لانني لم اجد معهم نسوةً فاشار اليها وكانت ماشية معهم مسرورة جذلة فظننتُ انهُ يتهكم عليَّ وانتهرتهُ فقال اننا قد فرغنا من وضيعتها ونحن ذاهبون بها الآن لندفنها حسب ارادتها وقد دعوتك كما دعوت غيرك من كهنتنا . فحاولتُ كثيرًا ان اصرفهُ عن هذا العمل القبيح فكانت حجتهُ ان المرأة امنا ونحن ابناؤها ولنا وحدنا الحق في قتلها ودفنها ولما وصلوا بها الى القبر جلست عليهِ وتقدّم اولادها وربطوا عنقها بحبل من مسد وشدُّوا بهِ حتّى خنقوها ثم واروها التراب وعندهم انها ذهبت بذلك فتيّة الى دار الثواب

وقد اتفق عقلاء الشعوب المتمدنة في كل العصور السالفة على ان الله الكون يسكن في الاعالي وهناك مقام الابرار بعد الموت . ومهما يكن من اصل هذا الاعتقاد فلا شبهة في انهُ قد حلّى مرارة الحياة وسهّل سُبل الفضيلة على متبعها وعزّى الفضلاء بان ثوابهم في الآخرة اذا لم ينالوهُ في هذه الحياة الدنيا فترقّت الفضائل والآداب وزاد عدد الذين يؤثرون على انفسهم ولو بهم خصاصة . اما حقيقة ما يلاقيهِ الانسان بعد الموت فما تقصر العلوم الطبيعيّة عن ادراكهِ ولكنها تكاد تثبت ان الخلود حقيقة مقرّرة وان الحياة الاخرى ارقى من هذه الحياة الدنيا جريًا على الناموس الطبيعي وهو ان التقدّم اعم من التفهقر ولا يستحيل ان تكتشف لنا اساليب جديدة للبحث فندرك بها ما نعجز اليوم عن ادراكهِ